

حين يصير عالم الآثار أثرا الى روح دوني جورج

اد عبد الهادي الخليلي



بكل أسى وألم بلغنا نبأ انتقالك الى رحمة رب العالمين جل وعلا. ندعو الله أن تكون سفرتك الملكوتية سفرة السعادة الأبدية، وأن تحشر مع النبيين والقديسين والصالحين في جنة الفردوس.

كنت تعرف حقاً كما نعرف مثلك ان كمية معطاك في الحقل الثقافي العلمي لايتناسب مع قصر الفترة التي عشتها في زماننا حيث أطلت عينك على الحياة عام 1950.

لقد رفعت الراية الخفاقة للدفاع عن التراث العراقي حتى آخر لحظة في حياتك حينما كنت في مطار تورنتو في كندا يوم السبت المصادف 11 مارت 2011 و بانتظارك محبوبك ومريدوك في الجانب الآخر من المطار وكلهم شوق لرويتك واستضافتك لمحاضرة ثقافية تراثية تنويرية كنت قد أعددتها للجالية. ولكن صدمتهم الكبيرة كانت حينما بلّغوا بالذهاب الى المستشفى حيث نقلتك سيارة الاسعاف عندما وقعت مغشياً عليك بسبب نوبة لعلها كانت قلبية المنشأ. وبالأسف لم تصل الى المستشفى إلا جسداً بارداً فارقته الروح الى بارئها، ولم يقدر الطب في منع ذلك. وهذا أمر الله الذي لايرد ولااعتراض عليه.

الكل يتذكر ياعزيزي دوني موقفك الشجاع والشهم والوطني حينما حاول الرعاع الهجوم على مستودعات المتحف الوطني عام 2003 وأوعزت ببناء حائط أمام الباب الرئيس لتمويه شذاذ الأفاق ومنعهم من متابعة السرقة التي امتدت الى ما كان موجوداً في قاعات المتحف.

لقد كنت أخي أبا ستيفن علماً من أعلام العصر وسفيراً لتراث العراق نفخر به في كل المحافل العالمية. كان اسمك يتردد في كل حلقة دراسية أو مقالة أو محاضرة تخص العراق وأثاره المسروقة من المتحف وخارجه. لقد كنت المدافع عن آثار العراق وكأنها ملكك الشخصي لا بل وكأنها قطعة من كبدك. وكنا جميعاً نشعر بألمك وتفاعلك حينما ألقيت محاضرة بيننا كنت قد دعوتك لإلقائها في شهر كانون أول عام 2006 في جامعة جورج واشنطن بواشنطن. حضر المحاضرة العديد من علماء الآثار الاميركيين ونخبة كريمة من أبناء الجالية العراقية قارب عدد الحاضرين المائتين. كان للصور المؤلمة التي صورتها بمشاعرك وما عرضته على الشاشة أبلغ الأثر والألم بما حل بالعراق الحبيب ومن نهب لتراثه.

وكنت الرائد العلمي والصوت العراقي الخبير والمؤثر حينما دعوتك ثانية للمشاركة في مؤتمر الاكاديميين العراقيين الذي عقد في الاكاديمية الوطنية الاميركية للعلوم عام 2009 وشاركت فيها بإحدى الجلسات الثلاث مع إخوة لنا: جراح القلب العالمي حازم صافي، وأستاذ الزلازل والجيولوجي حيدر الشكري وأستاذ الهندسة المدنية المتميز حسين بهية وعلماء آخرون.

وحينما بدأنا مشروع "سوية من أجل العراق" كنت الطاقة الخلاقة للجنة التراث التي تبنت مشاريع وطنية جريئة خدمة لتراث العراق في الحاضر والمستقبل. عملت مع زملائك رموز التراث والآثار في الولايات المتحدة والعالم: العالمة زينب البحراني، استاذ التراث والفن هاشم الطويل وأستاذة تاريخ الفن ندى الشبوط.

لازلت أحتفظ برسائلك وأسترجع اتصالاتنا الهاتفية المتكررة بعد كل حدث تراثي يخص البلد الحبيب وكنت ملينا بالحماسة والأمل بأن يعمل الجميع على حفظ التراث الموروث من الأجداد وأن يعتبروا هذا واجبهم الانساني والوطني المقدس كان آخرها.

لقد أدبت الأمانة وبأكمل وجهه وستبقى أعمالك خالدة وذكريك دائمة في كل مرفق من مرافق التراث العراقي حيثما وجد.

عزائنا فيما خلفت يأيها الأخ الفاضل والعراقي النبيل والعالم الجليل دوني جورج، وقلوبنا مع السيدة الفاضلة أم ستيفن والمحروسين ستيفن ومريم ومارتن.

ندعو لك جميعا بالراحة الأبدية والعناية الربانية

والسلام

المخلص لذكراك

عبد الهادي الخليلي
واشنطن

2011/3/14